

بقلم: الدكتور مصطفى يوسف اللداوي*

تعرض اتفاقيات السلام الأخيرة الموقعة بين الكيان الصهيوني وعدد من الدول العربية بما فيها اتفاقية أبراهام التي باتت الأشهر والأكثر أهمية إلى انتقادات شديدة ومعارضة واسعة من أطراف إسرائيلية عديدة رغم أنها اتفاقيات استراتيجية وإنجازات هامة في المشروع الصهيوني الممتد لأكثر من قرن ونصف مضيا إلّا أن مجموعة من المفكرين الإسرائيليين ومعهم فريق غير بسيط من مؤيديهم الأمريكيين يعارضون هذه الاتفاقيات وينتقدونها ويرون أنها اتفاقيات ضعيفة ومهزوزة ولما تركزت إلى قواعد ثابتة وأرضية صلبة ولما يوجد ضمانات لاستمرارها أو تأكيدات لصمودها وبقيائها.

فشعوب هذه الدول بلا استثناء تعارض الاتفاقيات الموقعة وترفض الاعتراف بإسرائيل وتحرم التطبيع معها بل وتدعم المقاومة الفلسطينية وتساندها وتساهم في ثباتها وصمودها وقد أقدمت أنظمتها الحاكمة على الاعتراف بالكيان الصهيوني والتطبيع معه لحاجة لها ومصلحة عندها فأغلبها تواجه انتقادات واسعة من شعوبها وتلقى عدم قبول منها وتعرض لاضطرابات داخلية تقلقها وتعاني من حالة عدم استقرار حكمها مما يهدد باحتمالية سقوطها وبعضها يواجه شعبه بالحديد والنار ويقمع حراك أبنائه بالقوة والعنف ويواجه مطالبهم بالرفض والإهمال فضلا عن التشويه والتهام والاعتقال والمحاكمة.

ومن جانب آخر فإن هذه الدول الموقعة لاتفاقيات السلام لا تشكو من احتلال إسرائيل لجزء من أرضها وهي لا تجاورها ولما تشترك معها في حدود ولما تقاثلها ولما تشتبك معها ولما يوجد لديها معتقلون في سجونها ولما تعاني من أي قضايا عالقة معها وبالتالي فإن الاتفاقيات معها ضعيفة ولما تركزت إلى قواعد صلبة وأسس متينة إذ لا تشبه تلك التي وقعت مع مصر في كامب ديفيد أو مع الأردن في وادي عربة حيث جرت بموجبهما انسحابات عسكرية إسرائيلية من أراضي مصرية وأردنية محتلة واستعادت الدولتان سيادتهما عليها فكان انسحابيهما من أرضيهما المحتلة ثمنا للاعتراف بها وأساسا للسلام والتطبيع معها وبهذه المنجزات تمكنت حكومات البلدين ولو صورياً وشكلياً من تمرير اتفاقيتهما والدفع عنهما ورغم معارضتهما الشعبية الكبيرة فقد صمدا لأكثر من ثلاثة عقود.

بينما الاتفاقيات الجديدة الموقعة مع الدول العربية فهي على أهميتها لا تستند إلى قواعد صلبة ولما إلى أسس متينة تمكن حكوماتها من الدفع عنها وليس أصلب من الأرض المحررة واستعادة الحقوق الوطنية وسيلة للدفع عن الاتفاقيات أما الأثمان التي تلقتها بعض الدول كالمعترف الأمريكي على جزء من ترابها الوطني المختلف عليه أو شطب اسمها من قوائم المارهاب أو رفع الحصار المفروض عليها أو التعهد بحماية أنظمتها والدفع عن عروشها فإنها مكتسبات غير شعبية بل هي منافع سلطوية تخدم الأنظمة ولما تعود بالنفع على الشعوب التي قد تضاعف مع الأيام من حجم عداوتها لإسرائيل ونقمتها عليها.

لا ينكر الإسرائيليون جدوى الاتفاقيات الموقعة وأهميتها الاقتصادية بالنسبة لهم وآثارها النفسية والمعنوية على شعبيهم ودورها في تحسين صورتهم ودمج كياناتهم في المنطقة والاعتراف به مكوناً أساساً فيها يحظى بالشرعية والقبول ويتمتع بالاعتراف والاحترام فضلاً عن تداعياتها المباشرة على القضية الفلسطينية التي قد تدفع الفلسطينيين بأساً وقنوطاً وإحساساً بالعزلة والضعف للقبول بالحلول المطروحة وعدم رفضها وإلّا فإن أحداً لن يقف معهم ويؤيدهم أو يدعمهم ويساندهم.

إلّا أنهم في الوقت الذي لا ينكرون فيه محاسن الاتفاقيات الموقعة فإنهم لا يرون لها أهمية تذكر ما لم يتم توظيفها في خدمة مسار حل القضية الفلسطينية واستخدامها في تطويع الفلسطينيين وإقناعهم بالقبول بالحلول المطروحة إذ لا سلام يستمتعون به ما لم يكن مع الفلسطينيين أنفسهم ولما أمن يتوقعونه في المنطقة ما لم يكن الفلسطينيين جزءاً منه وأساساً فيه ولما استقرار لكيانهم أو تحسين لصورتهما ما لم يشارك الفلسطينيون فيه فهم الأقدر على إعادة رسم الصورة ورفع الشبهات وإزالة الاتهامات عن كياناتهم والمجتمع الدولي يصغي إليهم ويؤمن بعدالة قضيتهم ويتطلع إلى التوصل إلى اتفاق ينهي معاناتهم ويحقق أحلامهم ويلبي رغباتهم وطموحاتهم في دولة مستقلة ووطن حر.

يشعر الإسرائيليون بقلق شديد من تبعات هذه الاتفاقيات ومن سرايها المزايف ويخشون من إمكانية انقلابها عليهم وانعكاسها السلبي على أمنهم واستقرارهم فهي قد تشعر الفلسطينيين بالوحدة والعزلة والخذلان والإهمال وقد تخلق فيهم بأساً وقنوطاً يدفعهم نحو تطرف أكبر ومقاومة أشد ويساعدهم في ذلك رفض الشعوب العربية للاتفاقيات الموقعة مع حكوماتهم وقد بدا هذا الأمر جلياً من خلال اتفاق القوى الفلسطينية سلطة ومعارضة حيث كان للاتفاقيات الموقعة دور في لقاءهم واجتماعهم وفي اتفاقهم ووحدتهم وهو ما قد يؤسس لمرحلة من الصراع جديدة يكون الإسرائيليون فيها هم الأكثر ضرراً وخسارة.

يقول الإسرائيليون أن أساس المشكلة في المنطقة كلها هي القضية الفلسطينية فهي سبب الأزمة وعنوان الصراع والفلسطينيون هم أصحاب القضية وسكان الأرض وهم الذين تلتقي عليهم الشعوب العربية وتتفق وعلى المجتمع الإسرائيلي أن يدرك أن مشكلته هي مع الفلسطينيين لا مع غيرهم وأن أزمته الحقيقية معهم لا مع المغرب والبحرين والسودان ودولة الإمارات كما لن تكون مع غيرهم.

يؤمن هذا الفريق أن أزمة كياناتهم هي مع الشعب الفلسطيني كله في الشتات واللجوء وفي مناطق السلطة ومع هذا الجيل ومع الأجيال اللاحقة فهم وحدهم من يملكون مفاتيح الاستقرار في المنطقة وما لم يرضوا ويقبلوا بقناعة ودون قهر فإن السلام لن يستقر والأمن لن يكون كما لا ينوب عنهم أحد ولما يتحدث باسمهم نظام ما لم يفوضوه ويوكلوه وهو ما لم يحدث وما لا يتوقع أن

يكون وسيورثون أجيالهم يقينهم وحقيقة موقفهم ولهذا حذاري من شراء الوهم وتصديق السراب وإلّا فإن الحصاد وهم مثله وندامة تشبهه.